ما بين الممثل والجنرال!

سلام لكم جميعًا؛ حاضرين وغائبين...
لا يكفي لي أن أكون هنا في موضع الكلام، لأنني من هناك (رام الله)، ولكن طالما الأمر دائمًا في المسرح يعني «هنا والآن» ... إذن لنمارسْ سطوةَ القول الذي تمنحه لنا الدراما....
يصعد الممثل إلى الخشبة، يمنحُ الخيالَ طاقتَه القصوى، ويضيء غابتين؛ غابةً من أسئلة وغابةً من أشجارٍ تُرى كل واحدة منها تمامًا، يشمها، ويتلمسها ورقة ورقة...نسغًا نسغًا، ويماثلها.
أما الجنرال فإنه يصعد التلة، يأسر حركة الخيال بين أظفاره، ويشعل غابتين... غابةً من فرح وغابةً من شجرٍ... ما يعرفه فقط أن على الغابة أن تحترق... أو أن تأكلَ نفسَها.
يهدر الممثلُ ... لكن لا أحد في هذا الفضاء يسترقُ السمعَ...أما هديرُ دبابةٍ فهو الإيقاعُ الذي يحث الجنرال على اعتلاء دبابةٍ تتقيأ قذائفها على منشغلينَ بالتقاط كسرة حُبٍّ من أفئدتهم كي يُلقّموها صغارَهم.
الممثل لا يستمرئ الذهاب إلى الموتِ كأنه ذاهب إلى حديقةٍ، لكنه حينما يذهب إلى موتِه... يرى وردةً فيسكنُها علّها تحمي قلبَهَ من غبارِ القذيفة.
أما الجنرال فإنه يمتطي ظهر دبابته كي يخلع الوردة من صدر صغيرةٍ في الثالثة اسمها سارة... فيخلع قلبَها.
إذن على خشبة المسرح... هناك بشر... وهناك بَــ شَر كما لاعبَ الكاتب والمخرج المسرحي روجيه عساف الكلامَ والدمَ أمسِ ... وما بينهما هي تلك الحدود الفاصلة ما بين الرغبة في الرغبة، والرغبة في اشتهاء العدم.
لأننا نحتفي هنا بالمسرح فإننا نقتفي أثرَ الحياة بينما الجنرال يحتفي بالميدان مقتفيًا أثر الجنازير الذاهبة لالتقاطِ موتِنا...قبل دنوِّ لحظتِه الممكنة.
على خشبة المسرح (هنا والآن) وبين صفوف المتفرجين نعتلي الحبَّ ويعتلينا، أما تلك الفوهة، فإنها (هناك – الآن) تسرف في انتهاكِ الحياة، وتُوقد الكراهية وتعتلي حائط الرعب... ففي (هناك–هنا) سنشعل جذوةَ الحب في حنايا الصغار، ونتعلم معهم كيف نفكّ الحكاياتِ وألغازَها... أما أولئك الذين يرقصون على ظهر دبابة فماذا عساهم، حينما يكملون دورة الموتِ ويعودون غدًا أو بعد غد إلى البيوت، سيقرأون لصغارهم قبل نومِهم!
سنعلم أطفالنا، بعد كلِّ هذا النهوضِ اليوميِّ الصباحيِّ المفاجئ على صوت الرصاص، أن ينهضوا من فراشهم متلكئين... متثائبين في أول الصبح... ثم سيعلموننا كيف يجمعون أحلامَهم ويسافرون في يومهم وادعين...
ربما غدًا أو بعد غد، ولكن حتمًا، في غدٍ ما قريب سيمكن للممثل والممثلة أن يصعدا إلى خشبة المسرح في رام الله كي يكملا المشهد الذي انقطع، والمسرحية التي انقصفَ عمرُها، وسنكون جميعًا هناك معًا لنعلّم، كما يقول محمود درويش، «أعداءنا تربية الحمام»؛ فليس لدينا ما يكفي من العمر كي نكره... إذن سنعشق حتى العظام... خلف هذا الحطام.
وسنعود كما كنّا في أول الوقت
نطرّز على هذه الأرضِ أبجديتَنا وأبجديتَهم في نسيجِ لغاتِ الكونِ كلِّها
ونهفو إلى غدنا الذي فيه نتمم هذا النسيج لنا ولهم وللآخرين على هذه الأرض
هذا شأننا الآن وغدًا، ولن نخرّبَ سجّادنا كي يجدّلوه حبالا لشنق الحديقة من وجنتيها.
واسمحوا لي أن استعيرَ سعد الله ونوس مختتما «إننا محكومون بالأمل»
لكم جميعًا ولعمانَ التي تحتضننا كلَّ الحب...

وسيم الكردي

«كتبت هذه الكلمة وألقيت باسم الوفود العربية المشاركة في «أيام عمان المسرحية» الذي انعقد في عمان – الأردن خلال الفترة الواقعة ما بين 27 آذار و8 نيسان 2002. وقد كان الكاتب قد اشترك في المهرجان من خلال تنظيم ورشة عمل لمدة خمسة أيام في مجال «الدراما في التربية» لمعلمات ومعلمين في مجال تعليم الدراما من دول عربية عديدة».

للحصول على نشرة «رؤى تربوية»

أرسلوا لنا عنوانكم البريدي وستصلكم أعدادها تباعا
للمراسلات
رام الله – مركز القطّان للبحث والتطوير التربوي
ص. ب 2276 رام الله – فلسطين
هاتف: 2963281/2 2 972+ فاكس: 2963283 2 972+
E-mail: wasim@qattanfoundation.org
http://www.qattanfoundation.org/cerd.htm

غزة – مركز القطّان للبحث والتطوير التربوي
شارع الجلاء – عمارة دار السلام وابن حرمل – الطابق الخامس
هاتف: 2838819 8 972+ فاكس: 2838809 8 972+